(٩٣) سورة الضحى

في رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة آياتها إحدى عشرة مكية نزلت بعد سورة الفجر تناولت شخصية الرسول ﷺ وما حباه الله من الفضل والإنعام في الدنيا وفي الآخرة بدأت بالقسم على جلال قدر الرسول ﷺ وأن ربه لم يهجره ولم يبغضه كما زعم المشركون بل هو عند الله رفيع القدر ثم بشرته العطاء العظيم في الآخرة، ثم ذكرته بما كان عليه في الصغر من اليتم والفقر فآواه ربه فأغناه وأحاطه برعايته وعنايته ثم ختمت السورة الكريمة بالوصايا العظيمة مقابل تلك النعم "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث" وقد سميت السورة بسورة الضحى حيث أقسم سبحانه وتعالى بالضحى وهو أية كونية عظيمة دليل على قدرة المولى عز وجل.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾

معاني المفردات:

الضحى: وقت ارتفاع الشمس

سجى: اشتد ظلامه

ما ودعك ربك: ما تركك منذ اختيارك

ما قلى: ما أبغضك منذ أحبك

يجدك: يعلمك

فآوى: فضمك إلى من يرعاك

ضالا: غافلا عن تفاصيل الشريعة

عائلا: فقيرا

فلا تقهر: فلا تحقره ولا تغلبه على ماله ولا تستذله

فلا تنهر: فلا تزجره وارفق به

التفسير:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ يقسم الله سبحانه وتعالى بوقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويقسم سبحانه وتعالى كذلك بالليل إذا اشتد ظلامه، قال ابن كثير: هذا قسم "منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء، وبالليل إذا سكن فأظلم وادلهم وذلك دليل ظاهر على قدرة الله تعالى[1] ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أى ما تركك ربك يا محمد منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك، وهذا رد على المشركين حين قالوا هجره ربه وهو جواب القسم ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ أى للدار الآخرة خير لك يا محمد من هذه الحياة الدنيا لأن الآخرة باقية والدنيا فانية ولهذا كان عليه السلام يقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ أى سوف يعطيك ربك فى الآخرة من الثواب والكرامة والشفاعة وغير ذلك إلى أن ترضى وفى الحديث الشريف "لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة"[2] قال الخازن والأولى حمل الآية على ظاهرها ليشمل خيرى الدنيا والآخرة معا، فقد أعطاه الله تعالى فى الدنيا النصر والظفر على الأعداء، وكثرة الأتباع والفتوح وأعلى دينه، وجعل أمته خير الأمم وأعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والمقام المحمود وغير ذلك من خيرى الدنيا والآخرة[3] ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾ أى ألم تكن يا محمد يتيما فى صغرك فأواك الله إلى عمك أبى طالب وضمك إليه؟ قال ابن كثير وذلك أن أباه توفى وهو حمل فى بطن أمه ثم توفيت أمه وله من العمر ست سنوات، ثم كان فى كفالة جده "عبد المطلب" إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره حتى بعثه الله على رأس الأربعين وأبو طالب على عبادة الأوثان مثل قومه ومع ذلك كان يدفع الأذى عن الرسول ﷺ وكل هذا حفظ الله له[4] ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾ أى ووجدك تائها عن معرفة الشريعة

---

(١) مختصر ابن كثير ٣/٦٤٩.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) تفسير الخازن ٤/٢٦٠.

(٤) تفسير الجلالين ٤/٢٦٠.

والدين فهداك إليها قال الإمام الجلال: أى ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك إليها ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ أى ووجدك فقيرا محتاجا فأغناك عن الخلق بما يسر لك من أسباب التجارة ثم أوصاه الله عز وجل بثلاث وصايا فقال سبحانه ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ أى فأما اليتيم فلا تحقره ولا تغليه على ماله والمراد كن لليتيم كالأب الرحيم، فقد كنت يتيما فأواك الله ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ أى وأما السائل المستجدى الذى يسأل عن حاجة وفقر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل أعطه أو رده ردا جميلا ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أى حدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك، فإن التحدث بالنعمة شكر لها قال الألوسى: كنت يتيما وضالا وعائلا، فأواك الله وهداك وأغناك فلا تنس نعمة الله عليك فى هذه الثلاث فتعطف على اليتيم وترحم السائل وترشد عباد الله إلى طريق الرشاد كما هداك ربك[1].

الإعراب:

وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ	الواو حرف قسم وجر الضحى مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف، والليل معطوف على الضحى، إذا ظرف لمجرد الظرفية متعلق بفعل القسم سجى فعل ماض مبنى وفاعله مستتر والجملة فى محل جر بالإضافة للظرف.
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ	ما حرف نفى مبنى على السكون وهو جواب القسم والجملة لا محل لها من الإعراب وودعك فعل ماض ومفعول به، ربك فاعل مرفوع والكاف ضمير فى محل جر وما قلى عطف على ما ودعك.
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ	الواو عاطفة واللام لام الابتداء وهى مؤكدة لمضمون الجملة، والآخرة مبتدأ مرفوع، خير خبر مرفوع لك جار ومجرور متعلقان بخير، من الأولى جار ومجرور متعلقان بخير أيضا.

(١) تفسير الألوسى ٣٠/١٦٤.

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ	الواو عاطفة اللام لام الابتداء وهى مؤكدة لمضمون الجملة، وجملة ولسوف يعطيك ربك خبر لمبتدأ محذوف تقديره أنت، ولم تكن الواو للقسم لأنها لا تدخل إلا على الجملة المكونة من المبتدأ والخبر وسوف حرف استقبال، يعطيك مضارع مرفوع والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به مقدم، ربك فاعل مؤخر والكاف فى محل جر مضاف إليه فترضى، الفاء عاطفة، ترضى فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة معطوف على يعطيك.
أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ	الهمزة للاستفهام التقريرى، ولم حرف نفى وجزم والكاف ضمير فى محل نصب مفعول به أول ويتيما مفعول به ثان، الفاء حرف عطف آوى فعل ماض معطوف على يجدك أى وجدك، ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة لا معنى العلم فتكون الكاف مفعول به ويتيما حال من المفعول به ووجدك ضالا فهدى الجملة معطوفة على ما قبلها وضالا مفعول به ثان أو حال كما سبق ووجدك عائلا نفس الإعراب السابق فأغنى الفاء عاطفة، أغنى فعل ماض مبنى وفاعله مستتر والجملة معطوفة أيضا على ما قبلها.
فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ	الفاء هى الفصيحة، أما حرف شرط وتفصيل اليتيم مفعول به مقدم لتقهر، الفاء رابطة لجواب الشرط لا ناهية تقهر مضارع مجزوم بلا الناهية وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت أى لا تقهره.
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ	الجملة معطوفة على ما قبلها وبنفس الإعراب.
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ	معطوفة أيضا على ما سبق، بنعمة جار ومجرور متعلقان بحدث الفاء فى جدث بمثابة الزائدة، حدث فعل أمر مبنى وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت.

من أسباب النزول

روى البخارى عن أحمد بن يونس عن زهير عن الأسود أن امرأة من قريش قالت للنبى ﷺ ما أرى شيطانك إلا ودعك فنزل قول الله عز وجل ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ رواه مسلم عن محمد بن رافع عن يحيى بن آم عن زهير.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على الكثير من صور البيان والبديع نذكر منها :

❖ الطباق بين "الآخرة والأولى" لأن المراد بالأولى الدنيا وبالآخرة يوم القيامة.

❖ المقابلة اللطيفة بين قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ وبين قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾.

❖ الجناس الناقص بين "تقهر... تنهر" لتغير الحرف الثانى من الكلمتين.

❖ السجع الجميل غير المتكلف كما فى قوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾.

❖ ❖ ❖